13 me Année No. 642

Lundi—22—10—1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٦٤٢ « القاهرة في يوم الإثنين ١٦ ذو القعدة سنة ١٣٦٤ — ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

بركة « الإمام » ... !

للأستاذ إبرهيم عبد القادر المازني

كان هذا منذ أكثر من ثلاثين عاماً ، وكنت يومئذ مدرساً للترجمة في المدرسة السعيدية الثانوية ، وأقبل الامتحان العام — البكالوريا والكفاءة — وعقدت له لجان شتى عُينت ، كغيرى ، مراقباً أو ملاحظاً في إحداها ، وكان أخي طالباً ، وعليه أن يؤدى الامتحان في إحدى هذه اللجان .

واتفق أن دعيت أسرتنا كلها إلى عرس قريب لنا ، بيته مجاور لبيت صهرى ، فذهبنا مغتبطين جذلين ، ولكني كنت في قرارة نفسي مشفقاً من سهر الليل ، وكيف يؤدى أخي امتحانه وهو لم ينم ؟ وكيف أقوى أنا على المراقبة والكرى يرنق في عيني ؟ غير أني لم أر لى حيلة ، فتركت الأمر المقادير ...

وألفيت في بيت قريبنا هذا نفراً من الإخوان ، فانتحيت بهم ناحية من الحديقة ، وجلسنا بين الخضرة والماء ، نسمر ونضحك ، والعريس وأبوه يلحان علينا أن نخرج فنكون مع الجمع الحاشد لنسمع غناء الشيخ يوسف المنيلاوى — بلبل زمانه — ونحن نأبى كل الإباء أن نتزحزح عن مكاننا لجماله ، ونطلب أن يقدم إلينا الطعام ، حيث كنا بلا كلفة .

وجاء — قبل الطعام — رجل من أهل طنطا لا أعرفه ، يرتدى جبة وقفطاناً وطربوشاً مثل طرابيشنا نحن « الأفندية » ، وعليه لفة مزركشة ، فحيا وقعد ، وكانت له معرفة ببعض الإخوان ، فصفق أحدهم ودعا بالقهوة — قهوة البن — فلما أقبل الخادم بإبريقها في يد ، والفناجين في يد ، وصب من ذاك في هذه وناولنا ، مال أحد الإخوان على الرجل الطنطاوى وسأله : « معك خلطة ؟ »

ولم أكن أعرف ما « الخلطة » يومئذ ، فسألت عنها ، فقيل لى : إنها عنبر ومسك ... ولا أدرى ما ذا أيضاً ، قطرات منها تطيب بها القهوة ؛ فقلت : هاتوا إذن من هذا المسك والعنبر ، فأخرج الرجل زجاجة صغيرة ، ومددنا أيدينا بالفناجين ، فجعل يصب قطرات لكل واحد منا ، فنشكره ...

وكنا جلوساً على الحشايا والوسائد فوق سجادة على الخضرة ، فحسوت حسوة من فنجانتى ، فكرهت طعمها على لسانى ، فقد كانت كلها زيتاً ثقيلا — أو هكذا خيل إلىّ — فأرقت ما بقى في الفنجانة على الخضرة ، وصحت بالرجل الطنطاوى :

« ما هذا يا شيخ السوء ؟ متى كان العنبر والمسك شراً من زيت الخروع ؟ »

ومضمضت فمي بالماء ، وجىء بالطعام ، فأقبلنا عليه كأن لنا عاماً ما طعمنا فيه شيئاً ، وأكلنا ما لا يحسب الحاسب ، وما كنت أنهض عن المائدة حتى شعرت بكظة مزعجة ، فذهبت أتمشى بين

الشجر ، ولـكنى أحسست بدوار ، فعدت إلى مكانى وملت بشق على الأرض ، فإذا بها تدور كرأسى ، وترقص أيضاً ، وتعلو بى وتهبط ، ففزعت ، وانتفضت قائماً ، وقد أيقنت أنى لا محالة ميت ما لم أفرغ ما فى جوفى ، وعبثاً حاولت أن أفعل ذلك ، على فرط اجتهادى ، فجزعت ، ولم يبق عندى شك فى أن الذى صبه لنا الرجل الطنطاوى على القهوة من هذه « الخلطة » ، ليس إلا نوعاً من المخدرات « كالمزول » ، فآليت لأخنقنه قبل أن أموت !

وهممت به ، وأنا كالمجنون ، فحالوا بينى وبينه ، وصرفوه ، بالتى هى أحسن ، أو بالتى هى أخشن — لا أدرى — فما أخذته عينى بعد ذلك!

وجاءونى بليمون زعموا أن عصيره يفسد فعل هذه « الخلطة » فلم أنتظر حتى يعصروه ، وخطفته من أيديهم ، وجعلت آكله بجلده ، ثم قعدت إلى باب الحديقة وأشرفت على حشد المدعوين وتحت الشيخ يوسف ، وقلت أتسلى بالنظر والسماع ، ولـكنى كنت لا أرى شيئاً واضحاً ، وكان « قوس » الـكمان يبدو لى كأنه يرسم فى الجو دوائر ومربعات ومستطيلات ، وكان صوت الشيخ يوسف كالطبل فى أذنى . فعدت أدراجى وانطرحت على الأرض ، وكنت أغيب عن وعيى ثم أفيق ، والقوم حولى كأنهم أصنام ، لا ينطقون ولا يتحركون . فأدركت أنهم مثلى أو شر منى حالا ، سوى أنهم أقوى أجساماً أو أقدر على الاحتمال ، أو لعلهم اعتادوا هذه « الخلطة » فهم لا يتأثرون بها كما تأثرت!

ودعوت أحدهم — وكان أهل بيته مدعوين فى العرس فالبيت فارغ — أن يذهب بى إلى داره ، وأن يبعث فى طلب طبيب ، فهز رأسه وبقى حيث هو ، وعاودنى الإغماء لحظة ، فلما أفقت ورأيت أنى باق حيث كنت ، وتبينت أن لا أمل فى معونة من هؤلاء القوم ، أشرت إلى خادم لمحته خارجاً وطلبت أن يجيئنى « بخلطة » أخرى : سكر وخل ... فاستغرب ولـكنه جاءنى بما أمرت ، فأذبت السكر فى الماء ، وخلطته بالخل ، وشربت وقمت أعدو إلى ركن فى الحديقة ، فكان الفرج ، فقد اضطربت نفسى ورمت ما فيها يتبع بعضه بعضاً ، حتى خفت أن لا ينقطع .

ونمت بعدها ساعات ، فلما كان الفجر ، قمت إلى بيت صهرى لأغتسل وأتهيأ للخروج إلى لجنة الامتحان ، ولأضمن أن لا يتخلف أخى عن امتحانه ، وخلعت ثيابى لأستريح قليلا .

وإذا بى أرى أخى كالمجنون يصيح بكلام غير مفهوم ، وكان رأسى لا يزال ثقيلا مما مر بى فى ليلتى ، فسألته عن الخبر ، فإذا هو معذور ، ذلك أن خادماً فى بيت صهرى سرق سترته وحذاءه ، وسرق بنطلونى وطربوشى ، فصار من المستحيل علينا أن نخرج من البيت ، فما لنا فيه ثياب أخرى ، ولا جئنا إلا بما على أبداننا فما العمل ؟ لقد ذهب اللص بثيابنا ، وكأنما تعمد أن يسرق منها ما يكفى لمنعنا من الخروج . وكيف بالله يخرج أخى بغير سترة وحذاء ؟ وكيف أخرج بغير بنطلون وطربوش ؟

وأضحكنى هذا ، فإنه أشبه بالنكتة ، أو بما يسميه العامة « المقلب » .

ولم يبق إلا أن نحاول أن نستعير من بعض الجيران ثياباً نعود فيها إلى بيتنا ، وهناك نستطيع أن نرتدى غيرها ، ويذهب كل منا فى سبيله .

وفعلنا بعد عناء ، فقد كان الناس نياما بعد طول السهر ، فأزعجناهم وكلفناهم شططاً ، ولـكن المضطر يركب الصعب .

وقد نسيت أن أقول إن بيت صهرى كان على « تخوم العالمين » وعلى مقربة من مسجد الإمام الليث بن سعد ، فارتدينا الثياب المستعارة ، وتوكلنا على الله ، ومررنا بالمسجد ، ووقف أخى يقرأ الفاتحة ، لعلها تنفعه فى « الامتحان » ببركتها ، وكنت أنا مغيظاً محنقاً ، فلم يخطر لى أن أقرأ لا الفاتحة ولا سواها ، وإنى لأتلفت وإذا بالخادم قاعد على باب المسجد . ولم أعرفه فى أول الأمر ، لأنه كان فى ثياب غير معهودة نكّرته فى عينى — ثيابنا المسروقة. فلما استثبت جذبته من ذراعه فنهض ، وعدنا به إلى البيت ، ونزعنا ما عليه من أشيائنا ، ثم سألناه : فاعترف أنه سرق — وهل كان ينقصنا أن يعترف ؟ — وقال : إنه لما بلغ المسجد أحس أنه مقيد ، وألفى نفسه يجلس على الباب ، ولم يستطع بعد ذلك أن يبرح مكانه !

فقال كل من سمع هذه القصة إنها بركة الإمام ؛ وقلت أنا فى سرى : لعل هذا هكذا ، فما أدرى ، ولـكنى أحسب أن إيمان هذا الخادم بما لأولياء الله الصالحين من البركة والسر ، قد فعل فعله ، وكان له أثره حين مر بالمسجد ، فاضطرب وارتبك ، ولزم مجلسه حائراً ، وكبر فى وهمه أن « الإمام » قيده وأقعده عن الحركة .

وقد أمرت زوجتى يومئذ — رحمها الله — على أن تصنع « خبزاً وفولا » لفقراء « الإمام » ، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟ فلم أعترض . وكيف كان يقبل منى اعتراض ؟

ابرهيم عبد القادر المازني